الزاوية التجانية باب الخضراء – تونس

الإمام الخطيب الحاج الحبيب بن حامد

حُسن الظنّ بأمّة رسول الله وبالمؤمنين

﴿ الخطبة الأولى ﴾

يوم الجمعة 8 جمادى الأولى 1436 هـ / 27 فيفري 2015 م

الحمد لله،

الحمد لله العلي الأعلى أخرج الأمم واختار منها أمّة سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم في أزله فقال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] وأشهد أن لا إله إلاّ هُوَ رَبٌّ غفور رحيم وأشهد أن سيّدنا محمّداً خير خلقِ الله أجمعين مدح أُمَّتَهُ

[1] سورة آل عمران الآية 110

فقال « مثل أمتى كالمطر يجعل الله فى أوله خيرا وفى آخره خيرا »[1] صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما كثيرا.

عباد الله،

اتّقوا الله ويعلّمكم الله[2]، ومن أعظم ما يعلّمنا الله حُسن الظنّ بالله وحسن الظنّ بعباد الله سبحانه وتعالى وحُسن الظنّ بأُمّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقد ورد في الحديث القدسي « خصلتان ليس فوقهما في الخير خصلة : حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما في الشر خصلة : سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله »

نشهد في عصرنا هذا كثيرا من الأقوال التي تستنقص من الدِّين وتستنقص الأمّة سواءً في اعتقاداتنا اليوميّة وتستنقص العلماء، تكفّر الأمّة، تكذّب الأقوال، تنتقد الأفعال مُرتكزة على

---

[1] السيوطي في الجامع الكبير والطبراني

[2] قال تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ سورة البقرة الآية 282

الظنّ وقد قال تعالى ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1]، فهل هذا السلوك وهذا الاعتقاد في الأمّة وفي المسلمين يَخدِم الأمّة ؟

لا شكّ أنّه يستنزف قواها ويُهينُ المسلمين، وقد حذّر القرآن والسنّة منه وحثّنا على تعظيم الأمّة وتعظيم المسلمين.

قال صلّى الله عليه وسلّم « إياك ونار المؤمن لا تحرقك وإن عثر كل يوم سبع مرات فإن يَمِينَهُ بِيَدِ الله إذا شاء أن يُنْعِشَهُ أَنْعَشَهُ »[2]،

فنحن ذات واحدة يجمعنا الإيمان بالله وحده وبرسوله الخاتم صلوات الله وسلامه عليه فكيف يُنَقِّصُ بعضُنَا بعضَا ونحن من يشهد يوم القيامة للأنبياء بأنّهم بلّغوا يوم تقول أممهم أنّهم لم يبلّغوا، قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[3]، قال ابن عباس رضي الله عنهما فكيف يصنع الكفار إذا جئنا من كلّ أمّة قوم شهيد أي

---

[1] سورة الحجرات الآية 12

[2] السيوطي في الجامع الكبير

[3] سورة النساء الآية 41

بِنَبِيٍّ يشهد عليهم بالبلاغ وجئنا بك يا محمّد على هؤلاء شهيدا ويقال لأمّتك شهيدا مزكيّا معدلا مصدقا لهم لأنّ أمّته يشهدون للأنبياء على قومهم إذا جحدوا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ هَلْ بَلَّغْتَ فَيَقُولُ نَعَمْ يَا رَبِّ فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ فَيَقُولُ مَنْ شُهُودُكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ » ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. قَالَ عَدْلًا ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم « دخلت الجنة فرأيت فى عارضتى الجنة مكتوبا ثلاثة أسطر بالذهب السطر الأول لا إله إلا الله محمدا رسول

[1] أخرجه البخاري في صحيحه بَاب قَوْلِهِ تَعَالَى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }

الله والسطر الثانى ما قدمنا وجدنا وما أكلنا ربحنا وما خلفنا خسرنا والسطر الثالث أمة مذنبة ورب غفور »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمتي أمة مرحومة، متاب عليها، مغفور لها، لا عذاب عليها في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الزلازل والفتن »[2].

وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال « خير أمتى أولها وآخرها وفى وسطها الكدر »[3]، أي كدر الحظوظ والأغراض والأوهام والمراء والجدال.

فلنتّق الله عباد الله في أمّة حبيبه وصفيّه صلّى الله عليه وسلّم ولا نُعن الشّيطان على أنفسنا فنحن أمّة ذات واحدة إذا اشتكى

---

[1] السيوطي في الجامع الكبير

[2] الطبراني في مسند الشامين

[3] الحكيم والسيوطي في الجامع الكبير

منها عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى[1]، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وأصحابه وجميع أمّته. آمين آمين آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

[1] أخرجه مسلم في صحيحه بَاب تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ